خصائص الدعوة الإسلامية وأثرها في علاج ظاهرة الغلو والتطرف من منظور قرآني

د. عدنان عبد الرزاق الحموي العلبي*

ملخص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه، وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن ظاهرة الغلوِّ والتطرف ومجاوزة حدِّ الاعتدال والوسطية باتت سمة العصر البارزة في المجتمعات الإنسانية عامة، ومما يؤسف له أن للمجتمعات الإسلامية اليوم منها حظاً ونصيباً، وخاصة لدى بعض الطبقات المثقَّفة، ممن يبدؤون مشوارهم العلمي بنظرة محدودة، مبنيَّة في أساسها على الاعتزاز بالذات وإقصاء الآخر، أو ممَّن لا يُحسن اختيار طريق طلب العلم، على أيدي أهله الراسخين فيه، ولا يوفَّق في توجُّهه وسؤاله المتخصصين من أهل الذكر، فيركن إلى أنصاف المتعلمين والمتفيقهين، ممن يَخدع بمظهره أو طرْحه سُذَّجَ الناس، فتراه سرعان ما ينتصب داعيةً إلى سبيلٍ تحفُّه الشبهات من كل جانب، ولا يتوانى عن التشهير والتفسيق والتبديع للرأي المخالف له، إن لم يصل الأمر به أحياناً إلى تضليل وتكفير هذا المخالف، وإخراجه من الملَّة، وربما يستهوي هذا الطرحُ الجريء بعضَ الشباب المثقَّف، ممَّن يلهبه الحماس الديني، وتثيره العاطفة الجيَّاشة، والتي غالباً ما تذوب لدى أدنى امتحان عملي، أو عندما يقف على المحك المصيري. من هنا كان واجب أولي الأمر من العلماء والأمراء، أن يتيقَّظوا لخطر هذه الظاهرة، فيعالجوها تنبيهاً وتوجيهاً،

وذلك من خلال حكمة العلماء، وحنكة الخبراء، فيغلقوا منافذها، ويوصدوا أبوابها، ويوفِّروا السبل البديلة التي تكفلُ بانتشارها القضاءَ على مظاهر العنف والتطرُّف والتشدُّد والإرهاب،

* تدريسي / جامعة قطر / كلية الشريعة والدراسات الاسلامية .

الذي تعاني منه الأمة اليوم، بل العالم أجمع؛ نزفاً للطاقات، وهدراً للخيرات، وانجرافاً نحو الهاوية، وذلك من خلال احترام رأي الآخر، ومحاورته. ولنا في النماذج المتعددة للحوار القرآني، وفي سيرة النبي الكريم المثالُ الأسمى لكل باحث عن الحقيقة، في معرفة موقع كل من الوسطية والاعتدال، والتطرُّف والمغالاة من هذا الدين العظيم. فقد قدَّم الأنبياء عليهم السلام أمثلة رائعة في الاعتراف بالآخر والاستماع إليه، وكان الرحمة المهداة للعالمين، قولاً وعملاً، دعوة وسلوكاً، يتجلَّى هذا في دعوته للعدو والصديق، والبعيد والقريب، والصغير.

Abstract

Characteristics of Islamic Dawa and their impact in the treatment of the phenomenon of extremism, A Quranic perspective

The phenomenon of extremism and overstepping the limit of moderation has become general prominent of human societies in today's world ,and unfortunately Islamic communities also got their fortunate and share of this Problem, especially among some educated classes, who begin their scientific career with a Narrow Perspective ,that based on self-esteem and excluding others, or who Neither choose the right path of seeking knowledge, on the hands of firmly established scholars ,nor guided to ask specialists in the field , that led them to seek knowledge from semi-literate and fake scholars s, whose external appearance con naive people and become a Islamic caller in a short period ,equipped with suspicious knowledge.

These People –because of their lack of knowledge- do not hesitate to label The other opinion – whatever it is – as innovative or sinful but sometimes

as infidel and this kind of harsh attitude can impress some educated young people who are motivated by emotion and enthusiasm, which often go melt at the first practical exam, or serious test.

So, It was a primary duty and obligation of scholars and Rulers to be awake carefully of risk and dangerousness of this phenomenon, in order to handle it with full of awareness and guiding from Islamic Scholars and experts to close the doors and loopholes through which this problem penetrates to the Islamic world and to provide alternative ways such as respect for other opinion and belief in the dialogue, that can ensure elimination of all aspects of violence, extremism, militancy and terrorism, which are experienced by the nation today, but the whole world and caused in exhausting energies, and waste of good things.

The holy Quran and biography of the Prophet -Peace be upon him – provide supreme examples for every researcher of the truth, to know the position of moderation, extremism and exaggeration in this great religion. Prophets them self-have provided great examples in recognition of the other and listen to him, Especially our beloved Prophet Muhammed – Pease be Upon him-was the Mercy and compassion gifted from Almighty Allah to the entire world through word ,deed, and behavior, reflected in his calling enemy and friend, and the near and distant, and young and old, women and men, and even in his dealings with other components of the environment of birds, animals, plants and inanimate.

المقدمة

تعيش البشرية اليوم عصراً مميزاً في عالم التكنولوجيا، تتسارع فيه الاكتشافات العلمية، وتتصارع فيه القوى الاقتصادية، وتتناحر فيه الأفكار السياسية، نحو حُبِّ البقاء على الأرض، والصراع على قيادة المجتمعات الإنسانية والسيادة عليها، وتحمل البشرية في خِضَمِّ هذا التقدم الحضاري بذور دمارها وهلاكها، وعوامل شقائها وفنائها، حين لا تهتدي بهدي السماء في توجُّهاتها، وعندما تتنكَّب الجادَّة في تحديد أولويات أهدافها الحضارية.

ولعل ما يعانيه العالَم بأسره اليوم من مظاهر الإرهاب الدولي، والتطرُّف الفكري، والغلوِّ الديني، إنما يدعونا أن نقف وقفة تأمُّل وتبصُّر، حول ما تحصده البشرية من مخاطر هذه الآفات الهدامة، التي باتت تنذر بشؤم الحال، وسوء المآل. كما يدعونا أن نتعاطى مع هذه الظواهر الخطيرة بمنتهى الجِدِّية والاهتمام والحذر؛ فهماً مستوعِباً لأسباب ظهورها، وبحثاً جاداً للحدِّ من تنامي آثارها، وسعياً حقيقياً لعلاجها، والقضاء عليها، والخلاص منها.

لقد شاع في الآونة الأخيرة انتشار ظاهرة التطرُّف والتكفير والغلوِّ في الدين لدى بعض الأوساط الدينية، ممن يتصدَّرون للدعوة الإسلامية، مترسِّمين مساراً محدداً من طرقها، وملتزمين أحد وجوه أنشطتها، ومركزين على التقيد والالتزام والانضباط بجانب معين من فروعها؛ ومن خلال تتبُّع هذه المسارات والأنشطة يلاحظ أن نشأة هذه الظاهرة تنبع أحياناً من سذاجة الأتباع، وجهلهم بفقه الدين، وسوء فهمهم لمقاصده، فيتيهون عن جادة الصواب في سلوكياتهم واندفاعاتهم الطائشة، ويقعون في المخالفات السلوكية والعلمية والفقهية، بينما يلاحظ في أحيان أخرى أن هناك جِهَاتٍ خارجيةً غريبة عن الدين وروحه وصفائه، تسعى من خلف الكواليس لضرب الإسلام من داخله، وعلى أيدي أبنائه، من خلال بثِّ الأفكار الهدَّامة، والعقائد الزائغة، والشُبه الواهية، المخالفة لروح الدين الإسلامي ومقاصده، وتغذية هذه التوجُّهَات، كي تصل إلى مرحلة الولاء الأعمى لهذه الأفكار والعقائد والشُبَه، والبراء المطلق من مُخالِفها، وهنا يكمن الخطر في المواجهة والتعنُّت، مما يحتِّم تناول هذه الظاهرة الخطيرة، وبسطها على مائدة البحث والحوار، وتنبيه الأمَّة إلى أخطارها، ولفت الأنظار إلى آثارها السلبية، وتحذير المسلمين من التعاطي معها بغاية من الحذر والنباهة والبصيرة. فكل شيء تجاوز حدَّه انقلب إلى ضدِّه. وهنا نتذكر قول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: (لستُ بالخِبِّ، ولكن الخِبَّ لا يخدعني)[1].

أهداف البحث:

- بيان مخاطر التطرُّف والغلوِّ، وانعكاساتها السلبية على أمان واستقرار الأمم والشعوب.
- التأكيد على أن الإسلام دين السلام، يدعو للوسطية والاعتدال، وينبذ العنف والتطرُّف.
- التنبه لأهمية اجتثاث التطرُّف، ووصْد أبوابه، وذلك بنشر قيم الإسلام، وتفعيلها عملياً.

- تحديد مبررات نشأة ظاهرة التطرُّف والغلوّ في الدين، وبيان وسائل علاجها.

التمهيد: ويستعرض جملة من التعريفات ذات الصلة بموضوع البحث:

أولاً: الغلوُّ، أو المغالاة: الغلوُّ في اللغة: مجاوزة الحد المشروع في أمر من الأمور، من قول أو فعل أو اعتقاد، والإفراط فيه؛ زيادة أو نقصاناً، فعلاً أو تركاً[٢]. كما يتمثل الغلوُّ بالبحث عن بواطن الأمور، والكشف عن علل الأشياء، وتجاوز حد الاعتدال في الطاعة والعبادة، وهو نوعان: **غلوّ حق محمود؛** وهو أن يبالغ في تقرير الأمر وتأكيده، **وغلوّ باطل مذموم؛** وهو أن يتكلف في تقرير الشُبَه وإخفاء الدلائل، وكلاهما منهي عنه، إلا أن الثاني أشدُّ نهياً؛ لما يؤول إليه أمر أصحابه من الكفر والخروج عن الدين[٣]. وقد خصَّ القرآن الكريم في خطابه أهل الكتاب بنداءين في النهي عن الغلوّ، نظراً لما اشتهروا به من هذا الأمر الباطل المذموم، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ﴾ ١٧١

وقال تعالى أيضاً: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧ ﴾ ٧٧

كما أن الغلوَّ أيضاً يقسم قسمين: **الغلوّ الاعتقادي؛** وهو ما كان متعلقاً بكليات الشريعة وأمهات مسائلها، **والغلوّ العملي؛** وهو ما كان متعلقاً بباب الأعمال، سواء أكان قولاً باللسان، أم عملاً بالجوارح، وقد جاء التحذير منه بنص الهدي النبوي، فقد قال رسول الله ﷺ: (إياكم والغلوّ في الدين، فإنما هلك مَن كان قبلكم بالغلوّ في الدين)[٤].

ثانياً: الوسطيّة: لفظ (الوسط) لغة: يدور بين معاني العدل والفضل والخيريّة والنصف والبينيّة والمتوسط بين الطرفين. والوسطيّة: هي مؤهل الأمَّة الإسلامية من العدالة والخيريّة للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم. ويلزم توافر صفتَي: **الخيريّة** أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل، **وصفة البينيّة** سواء كانت حسيّة أو معنويّة[٥].

ثالثاً: الاعتدال: (العدل) في اللغة: الوسط، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الوسط العدل)[٦]في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ ١٤٣

أي عدولاً. قال القرطبي: وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها. ثم قال: قال علماؤنا: أنبأنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه بما أنعم به علينا من تفضيله لنا باسم العدالة، وتولية الشهادة على جميع خلقه، فجعلَنا أولاً مكاناً، وكنا آخراً زماناً، كما قال ﷺ: (نحن الآخرون الأوَّلون)[٧]، وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول، ولا ينفذ قول الغير على الغير إلا أن يكون عدلاً[٨].

رابعاً: التطرُّف: لغة: الوقوف في الطرف، وتجاوز حد الاعتدال وعدم التوسط، ورجل متطرِّف: لا يثبت على أمر[٩]. ويقابل الوسطيّة والاعتدال، ويصدق على التسيُّب والتفريط، كما يصدق على المغالاة والإفراط، فينتظم في سلكه الإفراط والتفريط معاً، لأن في كل منهما جنوحاً إلى الطرَف، وبعداً عن الجادة. ويلاحظ من خلال تعريف التطرُّف أنه في الاستعمال اللغوي يقع دائماً وصفاً معيارياً لأداء؛ قد يكون لفعل، أو سلوك، أو فكر. وليس مفهوماً عقلياً مجرداً[١٠].

خامساً: الإفراط: الإعجال والتقدُّم، وأفرط في الأمر: أسرف وتقدَّم، وكل شيء جاوز قَدْرَه فهو مفرط. قال تعالى:﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ ﴾ ٤٥

قال الطبري: وأما الإفراط فهو الإسراف والإشطاط والتعدي، يقال منه: أفرطت في قولك، إذا أسرف فيه وتعدَّى. وأما التفريط فهو التواني، يقال منه: فرَّطت في هذا الأمر حتى فات، إذا توانى عنه(١١).

سادساً: التفريط: الترك والتهاون والضياع والهلاك والتقصير والتضييع. قال الجرجاني: والفرق بين الإفراط والتفريط: أن الإفراط يستعمل في تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال، والتفريط يستعمل في تجاوز الحد من جانب النقصان والترك والتهاون والتقصير(١٢).

سابعاً: اللين: في اللغة: من التخفيف، وهو ضد الخشونة(١٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾

ثامناً: التنطُّع: وهو التكلُّف والمغالاة والتشدُّق والتعمُّق والتجاوز في الحد، وفي الحديث عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطِّعون) قالها ثلاثاً(١٤).

تاسعاً: التنفير: لغة: من التجافي والتباعد(١٥)، وعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطوِّل بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشدَّ غضباً من يومئذ، فقال: (أيها الناس إنكم منفِّرون، فمَن صلَّى بالناس فليخفِّف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)(١٦).

عاشراً : العنف: لغة: هو الخُرْق بالأمر، وقلة الرفق به، والأخذ بشدة وقسوة. وهو ضد الرفق، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)(١٧).
والتعنيف: هو التوبيخ والتقريع والتعيير واللوم(١٨).

حادي عشر: التعنُّت: الهلاك والمشقة والتشديد والإلزام بما يصعب أداؤه، والعَنَت: الوقوع في أمر شاق(١٩). وفي الحديث عن عبد الرحمن بن غنْم يبلُغُ به النبي ﷺ قال: (خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبَّة، الباغُون البُرآءَ العَنَتَ)(٢٠).

ثاني عشر: التكفير: الاتهام بالكفر، يقال: لا تكفِّر أحداً من أهل قبلتك، أي: لا تنسبهم إلى الكفر، ولا تدْعُهم كفاراً، أي: ولا تجعلهم كفاراً بقولك وزعمك(٢١).

ثالث عشر: الجفاء: لغة: نبوُّ الشيء عن الشيء، وهو غِلَظُ الطبع، وخلاف البِرِّ، ويستعمل فيما قصد الأمر من الترك والبعد وسوء الخلق. وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار)(٢٢). وفي صفته ﷺ: (ليس بالجافي، ولا المُهين، يعظِّم النعمة وإن دقَّت، لا يذمُّ منها شيئاً)(٢٣).

خامس عشر: التشديد: خلاف التخفيف، وهو من الشدَّة؛ أي الصلابة، وهو الأمر الذي يصعب تحمُّله، وهو نقيض اللين(٢٤).

المبحث الأول: خصائص وسمات الإسلام

المطلب الأول: خصائص الدعوة الإسلامية.

وفيه الخصائص الست الآتية:

أولاً: العالَميَّة: تتميز الدعوة الإسلامية بعالَميَّة خطابها، فهي تنادي البشرية بكافة أطيافها وألوانها ومكوناتها، فليست حصراً على جنس دون آخر، ولا حكراً على أمَّة دون سواها، أو قوم دون غيرهم، بل هي دعوة عالميَّة، تهدف إلى تحقيق الخير والرحمة للعالمين، ودفع الشر والنقمة عنهم. بل يمكن أن نفهم مضمون العالميَّة بمعناها الأعمِّ، لينضم تحت لوائها سائر المخلوقات، من بشر وحجر ومدر، وغير ذلك من مكونات الكون العظيم التي خلقها ربُّ العالمين، وجعل دعوة سيد المرسلين ﷺ هادفة لتحقيق معنى الرحمة للعالمين. فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ ١٠٧

ثانياً: الإنسانيَّة: وكما أن الدعوة الإسلامية عالميَّة في مضمون خطابها، فهي إنسانيَّة في شمول استهدافها، إذ تهدف إلى هداية بني الإنسان نحو الدين الخالص، والفضائل السامية، والقيم الرفيعة، والمبادئ القويمة، والأخلاق الحميدة، لترفع هذا الإنسان من مستوى البهيمية التي يشارك فيها الحيوان بغرائزه وطباعه الدونية، إلى مستوى الملائكية التي يشاركها الرتبة، بل ربما يفوق

الملك باجتيازه وترقّيه في مراتب السموّ والتجرُّد والطاعة لله تعالى. لذا كان خطاب الأنبياء عليهم السلام موحَّداً في دعوة أقوامهم؛ من منطلق البشرية التي يلتقون عليها، والإنسانية التي ينتمون إليها، والعبودية لرب عظيم، كغاية وهدف مشترك يجمع بينها. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ الانشقاق ٦

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ الانفطار: ٦

ثالثاً: الفطريَّة: ويراد بها أن الدعوة الإسلامية تتناسب وطبائع الفطرة البشرية التي فطر الله تعالى الناس عليها، فهي ملائمة لهذه الفطرة، فلا غرابة أن يتقبَّلها البدويُّ في باديته، والحضريُّ في حَضَرِه، ويتجاوب مع مضمونها، ويستجيب لندائها جميعُ ألوان الطيف البشري، حين يتجرد الفرد من نزعاته وأهوائه، ويتبرأ من عصبيته ونزواته، ذلك أنها تنطلق من مفهوم فطريٍّ، وتخاطب الفطرة السويَّة، بخطاب فطريٍّ مُقْنِع، يقوم على الدعوة للتوحيد الخالص، ونبذ الشرك والضلال، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣

رابعاً: الوسطيَّة: ويقصد بها الوسطيَّة في تقرير الأحكام، والمنهج والتطبيق، والفكر والاعتقاد، مع مراعاة الظروف والأحوال، فلا تجاوز ولا تقصير، ولا إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣

خامساً: الشموليَّة: وحيث إن الدعوة الإسلامية تتميَّز بما ذكرناه من خصائص، فهذا يستلزم اتسامها بالشموليَّة لتحقيق التكامل. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ الأنعام: ٣٨

سادساً: الربَّانيَّة: ويقصد بها أنها ربَّانيَّة الغاية والوِجهة؛ فالمقصد الأساس من الدعوة الإسلامية تحقيق العبودية الخالصة الصادقة لله تعالى، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ الذاريات: ٥٦

كما أنها ربَّانيَّة المصدر والمنهج؛ إذ تميَّزت هذه الدعوة بالكمال والعدالة، وتنزَّهت عن الخطأ والتحريف والقصور، لأنها من صنع العليم الخبير. قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾ الملك: ١٤

وهو سبحانه له الكمال المطلق، فليس فيها شيء من صنع البشر. بخلاف الدعوات الوضعية التي تفقد مصداقيَّة الهدف، وصفاءه. كما أن يد البشر هي التي صنعتها ووضعتها، فجاءت قاصرة، عُرضة للخطأ والنسيان، لأنها ترجع إلى صفات واضعيها.يقول الله تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾ المائدة: ٥٠ (٢٥).

المطلب الثاني: سمات الرسالة المحمديَّة.

وفيه السمات الخمس الآتية:

أولاً: الحفظ: بما أن الدعوة لسان حال الدين، تعبِّر عنه، وتدعو إليه، فهذا يستلزم أيضاً حفظها وثباتها وحمايتها وبقاءها واستمرارها وديمومتها، وكل ذلك مرهون بحفظ الرسالة ذاتها، والله سبحانه قد تكفَّل بحفظها، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ الحجر: ٩

ثانياً: العدل والاعتدال: والعدل أساس الحكم، وحيث أن الإسلام دين الحق الذي أراد الله لعباده أن يدينوا به، فهذا يقتضي تميز رسالة الإسلام بما يحقق استمرارية بقائه، ودوام حكمه، لذا كان العدل

من أبرز مقومات هذه الرسالة وأركانها. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ النساء: ١٣٥

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨

ثالثاً: صلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان: فالرسالة المحمديَّة حيَّة نشِطة مؤثِّرة، تتجاذب في مضمونها مع مكونات المجتمعات البشرية المختلفة، وهي متجدِّدة متفاعلة مع أنواع الطبائع المتباينة، ذلك أنها دعوة إلهية، ورسالة ربانية، وديانة سماوية، تهدف إلى إصلاح الجنس البشري، وتدعوه إلى الهداية والفضيلة، فهي تتلاءم مع كل بيئة، وتناسب كل زمان، وتصلح لكل مكان، وتتجاوب مع كل الأمم، وتتفاعل في كل العصور، وتتناغم مع كل الظروف.

رابعاً: الوضوح: ومما يميز هذه الرسالة أنها واضحة المعالم في العقائد والأصول، بيِّنة المقاصد في الشعائر والعبادات، ظاهرة الأهداف في الأخلاق والسلوك، جليَّة الغايات في المناهج والمعاملات، لا لبس فيها ولا غموض. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩

خامساً: العزَّة والكرامة: فالرسالة المحمديَّة تربِّي في المسلم عزَّة النفس وكرامتها، النابعة من سموِّ العقيدة، وشموخ الدين، فلا يخضع إلا لله المستحق للعبادة والخضوع، ولا يسجد ولا ينحني إلا لله تذلُّلاً ورِقَّاً، ولا يستسلم إلا لأمر الله تلذُّذاً وتعبُّداً [٢٦].

المبحث الثاني: ظاهرة التطرُّف.

المطلب الأول: تحديد الأسباب.

مبررات نشأة ظاهرة التطرُّف وأسبابها:

تُعدُّ ظاهرة الغلوِّ في الدين ومجاوزة الوسطية من أهم العوامل المولِّدة للتطرُّف والإرهاب، والمغذِّية للعنف والمغالاة. وتعود أسباب نشأة هذه الظاهرة إلى مجموعة عوامل أساسية؛ **أهمها:**

أولاً: الجهل بالدين: إذا بحثنا عن البيئة الملائمة، والجوِّ المناسب لِتولُّد التطرُّف، ونموِّ العنف، وترعرع الإرهاب، فإننا نجد في اندثار المفهوم السليم، وضياع الفهم الصحيح لفقه الواقع، مرتعاً خصباً، ونتاجاً طبيعياً للجهل بالدين، وأحكام الشريعة، إلى جانب قبض العلماء، وانحسار المربين والدعاة الصادقين، الذين ينيرون السبيل للعامة، ويرشدونهم إلى الخير. فكلُّ ذلك يُعدُّ المناخ الخصب، والبيئة النشِطة لهذه السلبيات. ولا يخفى أثر البيئة العلمية في تنوير العامة، وتوجيههم، وتعليمهم. قال الإمام علي ﷺ:

وضِدُّ كل امرئ ما كان يجهله والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقد بيَّنت السنَّة المطهرة فضلَ العالم على العابد؛ فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: ذُكِر لرسول الله ﷺ رجلان؛ أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلُّون على معلم الناس الخير)[٢٧].

ثانياً: الفضائيات المفتوحة: تعاني الساحة التوجيهية اليوم من مشكلة الفضائيات المفتوحة، والتي بدت تغطي حيِّزاً كبيراً من الأثر التوجيهي لدى طبقات المجتمع، وغالباً العنصر الشبابي فيه، مقارنة بما كان عليه الحال إلى عهد قريب في اعتماد الأسرة المسلمة على تقاسم المسؤولية والمشاركة بين البيت والمسجد والمدرسة في التوجيه والتربية والتعليم، متعاونين في ضبط السلوكيات، ومراقبة الناشئة، متآزرين في توجيههم وربطهم بأصولهم الدينية، وحثِّهم على الالتزام بهذه الأصول والتقيُّد بها. فبينما ضعف دور البيت، وأصبح مهمَّشاً في كثير من الحالات، لتفكُّك

الروابط الأسرية، وسيطرة المادة على العلاقات الاجتماعية، وانصراف كل من الزوجين إلى شؤون حياته الخاصة، بات دور المسجد أشدَّ ضعفاً في التوجيه والتأثير، حين اقتصر دوره على أداء الفروض والعبادات، وخَلَتْ منه حلقات العلم والذكر والنشاط والتوجيه، فأصبح دوره مهمَّشاً أيضاً، كذلك غدا دور المدرسة تقليدياً ضعيفاً، لا يلبي الطموح المرجوَّ، إضافة إلى أن قائمة الأولويات لديها قد تغيرت؛ فأصبح حظُّ التوجيه والتذكير فيها ضئيلاً إلا ما رحم ربي. وكان البديلَ الطبيعي لدى الكثير جهازُ الرائي، والشبكة العنكبوتية، ووسائل التواصل الاجتماعي، والتي سدَّت الفراغ، وطغت في التأثير والتوجيه على حساب الأدوار المؤثِّرة الأخرى، وهنا تظهر الطامَّة الكبرى، إذا ما أُسيئ استخدامُها، فيكون ذلك من أخطر الأمور الداعمة والباعثة على تفريخ الإرهاب الفكري، حين يُستباح المحظور، وعندما تتقطع الخطوط الحمراء للمبادئ والقيم الدينية، بدعوى الحرية والانفتاح، فيحدث الإفراط والتفريط. قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (لا تمكِّن زائغ القلب من أذنيك، فإنك لا تدري ما يعلقك من ذلك)[٢٨].

ثالثاً: ساحة الحرية المفتوحة: ولعلها مزيَّة يتمتع بها الفرد المسلم في المجتمع الإسلامي، بل هي من خصائص الدين، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ الكهف: ٢٩

لكن حين يُساء استعمالها، ويسوء توظيفها، عندها تكون المشكلة. فالحرية لها حدود وضوابط، وقيود وشروط، ولا يصح أن تكون مفتوحة الحدود، دون أي ضابط، مطلقة القيود، عديمة الشروط، فالمسلم حرٌّ في فكره واعتقاده، وفي تصرفاته وأفعاله، لكنه منضبط بضوابط الشريعة

فيما يفكر ويعتقد، مقيَّد بقيود الأحكام الشرعية فيما يتصرف ويفعل، فحرِّيته منبثقة عن حرية الاختيار التي وهبه الله تعالى إياها، إلا أنها لا تخرج عن دائرة الدين وحدوده، وإلا أصبح الإنسان مشاركاً للحيوان في حريته المطلقة. ثم إن المسلم يُساءَل عن مدى استعمال حريته جزاءً وحساباً. وحين يُساء استعمال الحرية يكون الغلوُّ والتجاوز. وهذا سبيل إلى التطرِّف والعنف والمغالاة والإرهاب.

سادساً: طغيان الجانب المادي على الجانب الروحي في حياة المسلم: من الملاحظ في عصر العولمة الذي كاد يطغى سرابه على سائر العالم اليوم طغيانُ الجانب المادي على الجانب الروحي، وبات المسلم بشكل أو بآخر يتأثر من طغيان هذه الثورة الهائجة في خِضَمِّ بحرٍ متلاطمِ الأمواج؛ من تنازع المصالح، وصراع المنافع، وتبددت آماله وأحلامه لتنحصر في اللهث وراء حطام الدنيا الزائل، وأصبحت هموم دعوته وقضايا أمته من كماليات ما يُهتّم به، ويُسأل عنه، ومن آخر ما يُنظر إليه، ويُفكَّر فيه.

سابعاً: الفراغ الفكري والخواء الروحي: إزاء هذا الطغيان المادي المتصاعد في الحياة العامة، فإن الفراغ الفكري والخواء الروحي يكادان يسيطران على مشاعر الناشئة، فتكاد لا تجد لغالبية الجيل الصاعد همَّاً إلا الحرص على متاع الدنيا الزائل، والسعي لتحصيل حطامها الزائف، مقارنة بما خلَّفه سلف الأمة من حضارة عظيمة قام بها مفكرون ومصلحون وعلماء وعظماء تميَّزوا بفكر ثاقب، وعلم راسخ، وشفافية روحانية، سامية بالمشاعر الدينية المتمثلة بالعمق الفكري، والصفاء الروحي، والطمأنينة النفسية، والثقة بالله، والتوكل عليه، والتدين الفطري النابع من إخلاص في الإيمان والفكر والاعتقاد، والناتج عن تهذيب في السلوك.

ثامناً: اختلاف المقاصد والغايات: من الطامَّات الكبرى التي ابتُلي بها حاضر الأمَّة الإسلامية الجهلُ بفقه الاختلاف، واختلافُ الأنظار، وتباينُ الرؤى، نحو فقه المقاصد والغايات، فما يراه أحدهم واجباً، يراه الآخر مكروهاً، وما يعتقد به الأول مباحاً، يراه الثاني محظوراً، وما ينظر إليه طرَف على أنه ضروري أو حاجي، ينظر إليه طرَف آخر على أنه تحسيني تكميلي، وهنا تختلف الأنظار نحو فقه الأولويات لدى كثير من الناس، ولا شكَّ أن هذا الاختلاف ناتج عن قصور في

الوعي الديني، والفهم الصحيح لمقاصد الشريعة وغاياتها، وقواعدها الكلية وأساسياتها، وأحكامها الفقهية وتفصيلاتها، لتنظيرها وتطبيقها على ساحة الواقع الحياتي والمعاشي للناس، بحيث غدا كل فرد يكيل الأمور بمعياره الذاتي والشخصي والمصلحي، متناسياً المعيار الشرعي والقِيَمي والأخلاقي الذي تقاس به حقائق الأشياء.

تاسعاً: الإنكار على المخالف في المختلَف فيه: من المتفق عليه أن هناك قطعيات في الثبوت والدلالة لا خلاف فيها، ولا جدل حولها، وهي مسلَّمات بديهيَّات. وهناك مساحة واسعة بل عريضة وكبيرة من الأحكام المختلَف فيها؛ رحمة بالعباد، ولظنِّية الثبوت أو الدلالة فيها، مما جعل العلماء يقرُّون بالخلاف فيها، وأعذر بعضهم بعضاً في حجته، على قاعدة: (رأْيِي صواب يحتمل الخطأ، ورأي مُخالِفِي خطأ يحتمل الصواب)[٢٩]، وعلى مبدأ: (نعمل فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)[٣٠]. وهنا تتجلى حكمة التشريع في استيعابه للجميع، واحترامه للرأي والرأي الآخر، وفتح الباب للاجتهاد والبحث والمناظرة، واستخلاص حِكَم التشريع السامية، في تحقيق عظمة هذا الدين، وإنسانية هذا التشريع، وعالمية هذه الرسالة. أما أن نُغلق هذا الباب، وننغلق على أنفسنا بإنكار المختلَف فيه، وحصر الحكم على ما ارتأيناه مما ترجَّح عندنا، ونبذ جميع ما خالفنا من الآراء فيما اتجهنا إليه، فهذا سبيل للمغالاة، وظلم للآخرين، بل ظلم للشريعة التي جعلت الخلاف سمة منهجها، رحمة من الله تعالى بنا. قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ هود: ١١٨ - ١١٩

عاشراً: القراءة المبتورة للنصوص: وأقصد هنا قراءة الخطاب الديني قراءة سطحية غير علمية ولا منهجية للخطاب، مما يولِّد فهماً خطيراً؛ على مبدأ مَن يبتر النص القرآني في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ

لَمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ النساء: ٤٣

فيقرأ: (يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة) ويقف الوقف القبيح عند أهل القراءة، فيُفهَم على غير مراده، ويزداد قبحاً خاصة إذا ابتدأ البدء القبيح في إكمالها: فيقرأ : (وانتم سكارى). وانظر ماذا يمكن تحليله من هذا البتر الظالم للخطاب الديني!؟ ومن المسلَّم به أن حفظ النص غيباً لا يغني عن فهمه وفقهه أصولاً، لتوظيفه سليماً في عملية الفتوى والتحليل. وبالتالي فتجد كثيراً من المتهوِّرين يشدُّك إلى استشهاده بنصوص قرآنية، أو أحاديث في الصحاح، ويفتي بموجبها وظاهرها وإطلاقها وعمومها، وما درى قواعد علم أصول الفقه؛ من أحكام الناسخ والمنسوخ، والظاهر والمؤول، والعام والخاص، والمطلق والمقيَّد، والمجمل والمشترك، وسائر فروع هذا العلم الشريف الذي يحمي الشريعة بسياجه وحصونه المحصَّنة، ويقيها شرَّ المهالك غير المنضبطة. فالانطلاق بهذا الخطأ في المنهج سيولِّد فهماً خطأً، ويتعامل مع واقع الحياة بنظرة غير فاحصة، وبالتالي سيفرز ألواناً قاتمة من الغلوِّ، المؤدي بالطبع إلى التجاوز والعنف والتطرُّف.

حادي عشر: البيئة النفسية غير المستقرَّة: فالمتطرِّف يحيا حياة غير طبيعية، نتيجة بيئة غير مستقرَّة اجتماعياً، ويلعب السكن النفسي دوراً في نمو هذا التطرُّف، كما أن الإحباط والاكتئاب والفشل من المكونات الرئيسة للتطرُّف، وهو تعبير عن معنى الانتقام للبيئة القاهرة التي يعيش المتطرِّف في كنفها، ويندر _ ولا نبالغ إن قلنا _ يستحيل أن ينمو التطرُّف في بيئة واعية مستقرَّة، مشبعة بالعاطفة والحنان والوئام، متَّسمة بالسكينة والطمأنينة والأمان.

ثاني عشر: العزلة عن الآخرين: فحين ينغلق المرء على نفسه، ويصمُّ الآذان عن سماع الآخر، وعن محاورته، وتفهُّم موقفه، فضلاً عن احترام إنسانيَّته، وتقبُّله، والاعتراف به، فإنه من البداهة والطبيعي أن تولِّد هذه العزلة والانطوائية مواقف سلبية، وتفرز نتائج عكسية، وتفرِّخ بؤراً متأجِّجة؛ حمقاً واستعلاءً وجنوحاً، تؤدِّي في مجملها لظاهرة الغلوِّ المؤدية إلى العنف والتطرُّف.

ثالث عشر: إقصاء الآخر: وهذا إفراز طبيعي لظاهرة العزلة والاعتداد بالذات وإنكار الآخر، ولا شك أنها ظاهرة مرفوضة، إذ لا يمكن لأحد إقصاء أحد، ولا يستطيع فرد في التاريخ المعاصر _ ومن منطق التعايش الإنساني والتفاعل البشري والتواصل الحضاري _ أن يُقصي الآخر، أو أن يتحكَّم في مصيره، أو أن يفرض الوصاية عليه، فقد مضى عصر العبودية، وانقضى زمن الطواغيت، وتحرر الإنسان من ربقة التبعية، وأصبحت الحرية عنوان الحضارات والمدنيات المعاصرة، مما يستلزم من مسلم اليوم، وهو صاحب رسالة، أن يوظِّف ظاهرة احتواء واحترام الآخر لخدمة رسالته، ونصرة قضيته، ودعم دعوته.

رابع عشر: ضآلة وجود العلماء: فالعلماء منارات الهدى للأمَّة، ومصابيح الدجى للناس، وإليهم المرجع في الفتوى والسؤال، حيث أمرنا سبحانه بسؤالهم في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾ الأنبياء: ٧

فهم ورثة الأنبياء، وبوجودهم يعمُّ الخير، وتنتشر الرحمة بين العباد وفي البلاد، فهم الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله، أشركهم ربنا سبحانه مع ملائكة قدسه في الشهادة على عدله وقسطه، وتوحيده وألوهيَّته، وعزَّته وحكمته، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ آل عمران: ١٨

وقديماً قال الشاعر:

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها كأنكم في بقاع الأرض أمطار

فحيث يوجد العلماء يوجد العلم والهدى والرشاد، ويكون الناس في أمان من الجهل والفوضى في فهم وتطبيق الشريعة، وحيث ينحسر العلماء فمؤشر الخطر وناقوس الشر ينذر بتفريخ التطرُّف، الناتج عن الغلوّ في الدين، والتنطُّع ومجاوزة الحد، وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض

العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتَّخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً، فسُئِلوا فأفتَوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا)[٣١].

المطلب الثاني: الآثار السلبية لظاهرة الغلوِّ في الدين ومجاوزة الوسطية:

وفيه الأمور الثلاثة الآتية:

الأمر الأول: انتشار ظاهرة تكفير الآخر: ولعل أخطر الآثار السلبية التي تنتج عن ظاهرة الغلوِّ في الدين إنما يتمثَّل في اعتزاز المرء بذاته، والغرور بموقفه، واعتبار نفسه الفريق الناجي، وما عداه ممن يخالفه في الرأي، ويغايره في التوجُّه، إنما هو في زاوية الضلال والفساد، وركن التيه والشقاء، بل الأعظم خطراً أن يتَّهم المخالِفَ بالكفر والفسق والإلحاد، وكأن صاحب هذا التوجُّه يتمثل موقفَي الخصم والحكم في القضية، بل يتقمَّصهما، وهذا مكمن الخطر وبيت القصيد في موضوعنا، فظاهرة التكفير ظاهرة خطيرة غير صحيَّة، تكاد تجد لها متنفَّساً ووجوداً، وتطفو على الساحة هنا وهناك، وإذا لم تجد مَن يتصدَّى لامتدادها، ويجمِّد من نشاطها، ويحدّ من تغلغلها، فإنها سوف تتنامى وتتفاعل، لتتحول من قضية قولية لفظية بحتة، منحصرة في إطلاق التكفير اللفظي، والاتهام بالإلحاد الفكري، وصولاً إلى القيام بأعمال أشدّ خطراً من التكفير، حين يتحول الصراع إلى العنف العملي، والإرهاب الفعلي؛ من قتل وسفك وإيذاء وإيلام، وهذا ما تشهده الساحة الإنسانية في بقاعٍ شتى من العالم، ممن يستبيح دم المخالِف، ويستحلُّ حرمة حياته، فيأتي على الإجهاز عليها، وقد حذَّر الله تعالى من هذا السلوك حين قال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ المائدة: ٣٢

ومن العجيب وقوف بعض المتفيقهين عند ظواهر النصوص، والتشدُّق بفهمها، فيحكم على المجتمعات بعموم التكفير، ويصنِّف البلاد إلى ديار إسلام وديار حرب، من خلال تفسير بعض النصوص تفسيراً ضيقاً مبتوراً، يخالف القواعد العامة للدين، ويعطي بعضُهم لنفسه الحق

والصلاحية للحكم على الآخرين صلاحاً وفساداً، إيماناً وكفراً، وينَظر في إطلاق الأحكام؛ فيُدخِل مَن يشاء الجنةَ، ومَن يشاء النار، ولا يخفى ما في هذا الأمر من سوء أدب، وتعالُم، وجرأة على الله تعالى، العليم بالخفايا، وصاحب الحكم والأمر. ولا يخفى ما في هذا الاتهام الخطير من عاقبة أشد خطراً على المتهِم، فهو في حكمه هذا؛ إما أنه مصيب ببيِّنة، وإما أنه مُدَّعٍ يُطالَب بالدليل، وأنَّى له أن يكفِّر مَن وحَّدَ اللهَ تعالى، وتوجَّه للقبلة، وفي قلبه ولو مثقال حبة من خردل من إيمان. وهنا يأتيه الجواب؛ البيِّنة والدليل، وإلا فالحكم مردود ومنقلب على مُدَّعيه. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أيُّما امرئ قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه)[٣٢][٣٣].

الأمر الثاني: الغلوُّ في الدين بين الإفراط والتفريط: تنقسم آثار الغلوِّ في الدين ومجاوزة الوسطية قسمين اثنين، وهما برمَّتهما آثار سلبية، ونتائج عكسية، إذ أن الغلوَّ إما أن يؤول إلى إفراط، أو إلى تفريط، بمعنى أنهما وجهان لعملة واحدة.

ويبدو الإفراط حين يُفهم الدين على أنه الحق المطلق الذي يستحق البقاء، وما عداه شر وضلال وباطل مطلق يجب إقصاؤه ودحره وإهلاكه، دون إعطاء الفرصة للحوار والنقاش والدعوة وإثبات الذات، وحين يُساء الفهم الصحيح للنصوص، ويُفهم الخطاب الديني مبتوراً، على مبدأ وقف التلاوة عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ٤٣ ﴾ النساء: ٤٣

والذي سبق عرضه _ فهذا لون من ألوان الإفراط، ووجه من أوجه الكبرياء، الذي يودي بصاحبه إلى الهلاك والدمار والسقوط.

وعلى صعيد آخر، يبدو التفريط حين يصوَّر الدين على أنه خنوع وانهزامية وضعف وهوان، واستسلام للطرف الآخر، بحجة المسالمة في الدعوة، ونبذ العنف فيها، فلكل ظرف حال، ولكل

مقام مقال. وبالمقابل فهذا لون من ألوان التفريط. وهنا لا ينكر الأثر السيئ للغلوّ، وتجاوز الوسطيَّة في النظرة السلبية لحقائق الدين.

الأمر الثالث: مظاهر الغلوّ وردود أفعاله: يغلب على المتطرِّفِ المتشدِّدِ الغلوُّ والتعصُّبُ للفكرة التي يحملها، والذي يقوده غلوُّه هذا في الغالب إلى التصلُّب والتمسُّك في الدفاع عن فكرته، والتحمُّس والتحيُّز لها انتصاراً وولاءً، مما يوقعه في مظاهر العنف التي تتخذ صوراً انفعالية شاذَّة، وردود أفعال سلبية مرفوضة، قد تتخذ أشكالاً مختلفة غريبة في بداية الأمر، وربما مع التمادي والتحجُّر والإصرار، توصل صاحبها إلى الإيذاء والانتقام، وكلها نتائج طبيعية لظاهـــرة التطرُّف والغلوِّ والعنف. لذا أمرنا ديننـا بالاعتدال والوسطية، والتحيُّز للحق، وأخذ الأمور بعين الرحمة والإحسان، ونبذ العنف والتشنُّج، والبراء من الولاء الأعمى والمطلق. كما أن التطرُّف يتقلَّب تنوُّعاً؛ مِن تطرُّف في الفكرة، إلى تطرُّف في السلوك، يليه تطرُّف في الدين. ثم قد يبدأ على مستوى الفرد، ويبقى أثره محصوراً في نطاقه، ومنحصراً في نشاطه ومجاله، حتى إذا ما وجد النصرة له من أفراد آخرين حملوا فكرته، وانتصروا لتأييد رأيه، فإنه يتحول إلى تطرُّف جماعي، وغالب هذا النوع من التطرُّف الجماعي يتَّجه إلى العنف، حين يجد القوة والمساندة والتعاون على الإثم والعدوان.

المطلب الثالث: تحديد وسائل وآليات عملية تساعد في الحد من ظاهرة الغلوِّ والتطرُّف،

وفيه الأمور الثمانية الآتية:

أولاً: تحديد المفاهيم والمصطلحات: وتعيين البدايات والغايات، وتوضيح الوسائل والمناهج، كي يمكن الالتقاء على طريق واحد، ومنهج محدد، فكثيراً ما ينتج التطرُّف عن سوء فهم لقضايا كلِّية، وثوابت قطعيَّة، وينشأ الغلوُّ من تباين في الرأي نحو الأساسيات والبديهيات، واختلاف النظر إلى الحقائق والمسلَّمات.

ثانياً: تضييق هوَّة الخلاف: ومحاولة سدّ ثغرات التباين بين فئات المسلمين، فيما اختلفوا فيه من المواقف والتوجُّهات، دون توسيع شُقَّتِها، المؤدِّي لإذكاء نار العداء والخصام بين أطراف الخلاف، فيركِّز على تعميق روح التفاهم والتوافق فيما لا خلاف عليه، مع الالتزام بأدبيات الخلاف. وتناسي محطات الخلاف فيما لا طائل منه، فيكفي الأمَّةَ ما أثخنها من جراح، وما انتابها من ويلات ومصائب عبر القرون، بسبب خلافها في فهم المقاصد، واختلافها في منهج التطبيق للقواعد.

ثالثاً: تنقية تراث الأمَّة مما علق به، أو أُدخِل عليه: فإرث هذه الأمَّة دينها المتمثِّل بالكتاب والسنَّة؛ فعن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما؛ كتاب الله، وسنَّة نبيِّه)[٣٤]. وقد مرت على الأمَّة أحقاب من الزمن، لعبت فيها الظروف السيئة أدوارها، ودخلت عليها شوائب من أفكار غريبة، فلا بدَّ من تصويب الخطأ إن وجد، بالحكمة والحجة. لتبقى على صفائها ونقائها.

رابعاً: عقد المؤتمرات والندوات والملتقيات الفكرية والعلمية والدينية والثقافية؛ وذلك للبحث والمناظرة في المستجدات، والوصول إلى رأي سديد، وإزالة الحواجز النفسية، وتضييق هوة الخلاف، وتعميق الوعي الثقافي بين أفراد الأمَّة، وهذا من الأهمية بمكان، إذ أن التوعية الفكرية والتثقيف العلمي على المستوى الشعبي والتخصصي، له آثاره الإيجابية الطيبة، في تبصير الأفراد بحقائق الأشياء، وإلقاء الضوء على مخاطر العنف والتطرُّف الذي تعاني منه الشعوب المنغلقة، وبالتالي يمكننا بهذه التوعية والتبصير المساهمة في تجفيف منابع الغلوِّ المتدفِّقة، والحدّ من انتشار هذه الظواهر السلبية المتأجِّجة.

خامساً: مقابلة الرأي بالرأي ما دام رأياً، والحجة بالحجة إقناعاً واستدلالاً، أما القوة والعنف والبطش فمجاله حلبات الصراع مع الخصم المعتدي، وهنا يركز على أهمية التبصر بالفقه المقارن، والتحلِّي بأدب الخلاف في مقابلة الآراء، ومقارنتها، والترجيح بينها، والتخيُّر منها، وهنا تدعو الحاجة لتذاكر سيرة السلف الصالح في احترامهم للرأي الآخر، وتقديرهم للرأي المخالِف، وهذا ما نكاد نفتقده اليوم.

سادساً: إعطاء الناس مزيداً من الحرية للتعبير عن رأيهم، والصبر عليهم، والمثابرة في علاج فكرهم وسلوكهم. وإفساح المجال لحرية الكلمة والرأي والفكر، والاجتهاد فيما يجوز الاجتهاد فيه، حيث إنَّ كَبْتَ الحريات يولِّد عنفاً وتطرُّفاً، لطالما كانتَّ الأمة بغنى عنه، بعد جراحها المثخنة.

سابعاً: أهمية الحوار: وهذا علاج ناجح، ودواء ناجع، في الاستماع للرأي الآخر، ومحاورته ومجادلته بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد قدَّم القرآن الكريم نماذج رائعة للحوار؛ في حوار الله تعالى مع آدم وإبليس في القرآن، أما آدم فقد نهاه فعصى، ثم غوى، ثم استغفر، فاجتباه ربه فتاب عليه وهدى. وأما إبليس فاستكبر وأبى، وتحدَّى ربه وطغى، ثم أمهله فتجاوز حدَّه، فلعنه وطرده من رحمته. وفي حوار النبي ﷺ مع قومه في مكة، وحوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً مع أقوامهم. والنصوص القرآنية كثيرة في سور عديدة، تستجلي هذا الأمر، وتبيِّنه أيّما تبيان.

ثامناً: دور المجتمع في التعامل مع الغلاة والمتطرِّفين: ويتمثل هذا الدور في معالجة الغلوِّ بحكمة الرجال، وحِنكة الكبار، ووعي الدعاة، وبصيرة الخبراء، وهنا نتذكر معالجة النبي ﷺ للشاب الذي أفصح عن حبِّه للزنا. فعن أبي أمامةرضي الله عنه قال: (إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مَهْ مَهْ، فقال: ادنُه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبُّه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لأمهاتهم، قال: أفتحبُّه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لبناتهم، قال: أفتحبُّه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم، قال: أفتحبُّه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لعماتهم، قال: أفتحبُّه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[٣٥]. فهذا الحديث يرشدنا إلى أهمية الاقتداء بالنبي ﷺ في تعاملنا مع الشباب الغلاة والمتطرِّفين؛ من استيعابهم بالانفتاح عليهم، وتقبُّلهم لتكوين ثقتهم بنا، ومن ثَمَّ يمكن بذر ما نريد فيهم، وتحويل بوصلة قناعاتهم نحو الجادة، واستبدال عنفهم بتفاعل مع المنهج بحكمة وإيجابية.

المبحث الثالث: هدي القرآن الكريم في علاج ظاهرة الغلو والتطرف.

المطلب الأول: فحوى الخطاب القرآني الهادف لعلاج واستئصال هذه الظاهرة.

ويجدر هنا التركيز على تنظير العلاج، وتحديد الدواء، لأهمِّيته في استئصال الداء، والأمل في تحقيق الشفاء. والإشارة إلى أهمِّية هذا العلاج، من خلال تحقيق النقاط الآتية:

أولاً: الالتزام بأدب البحث والمناظرة: فالباحث والمناظر إنما يبحث عن حقيقة، ويناظر لإظهارها، فهو صاحب مبدأ عقدي، وفكر ديني، ومنهج تشريعي، فلا بدَّ من التقيُّد بأدبيات المبدأ، والتخلُّق بأخلاقيات الدين، والتمسُّك بأهداف التشريع، ليعبِّر عن هذا الانتماء بمصداقيَّة وإخلاص. وقد بين لنا القرآن الكريم ألواناً من هذا الأدب الرفيع، فاعترف بحق الآخر في التعبير عن رأيه مع الاعتزاز بالرأي السديد، فقال تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ سبأ: ٢٤

أي: ليس هذا على طريق الشك، ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل للآخر: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق، وصاحبه كاذب. والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل أحد الفريقين مهتد، والآخر ضال[٣٦].

ثانياً: التجرد للحقيقة والإخلاص لها: فالمسلم بعيد عن الأهواء الذاتية، والمقاصد الشخصية، وتقديس الآراء والمذاهب، فالحقيقة هدفه المنشود، وضالَّته المفقودة، لذا أنَّى وجدها التقطها، وهو أحقُّ بها، وبالتالي تذوب نزعة العصبية، وتخفى شوائب العنصرية، ولكن بتواضع وإخلاص، وتجرد من نزغات الشيطان، والانتصار للذات، والاعتزاز والغرور بدوافع النفس الأمَّارة، وحبِّ الهوى.

ثالثاً: الاهتمام بجوهر الدين وأصوله: وهذا أمر جِدُّ هام وخطير، إذ بات البحث في الفرعيات، والخوض في الجزئيات، طافياً على الساحة، على حساب الثوابت والأصول، فلا بدَّ من الرجوع إلى جوهر الدين، وأصل التشريع، والالتفاف حوله، والتمسك به، ومحاولة إبراز مقاصده، وإعلان فضائله، وإشهار أحكامه السامية، تلك التي جعلته يوماً ما يظهر على الدين كله، وكانت زمناً ما

سبباً رئيساً في دخول الناس أفواجاً فيه. قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الزخرف: ٤٣ - ٤٤

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود: ١١٢

رابعاً: ترك الخوض في الخلافيات: والإعراض عما لا يجدي البحث فيه، وعدم إثارة الخلاف حوله كالمتشابه، أو المحتمل، أو المؤول من النصوص الشرعية والأحكام الفقهية، والآراء الفردية، والفروع المجتهد فيها، فهناك قاعدة عريضة من المسلَّمات المتفق عليها، تكون القاسم المشترك للتلاقي، وتبقى دائرة الفروع والخلافيات ضيقة محصورة في نطاق القناعات الشخصية.

خامساً: التمييز بين الاختلاف المسموح به، والخلاف الممنوع منه: فالأول ظاهرة صحِّية إيجابية، ناتجة عن قواعد منهجية، وتحقق مقاصد سامية؛ من الرحمة بالأمَّة، والسَعَة بأطيافها الملونة، ومن خلال تطبيقات عملية هادفة إلى نتائج حكيمة، من التخفيف واليسر ورفع الحرج. والثاني ظاهرة سقيمة سلبية، نابعة من قصور في وضوح الرؤية، وعيب في تحديد المسار، يفرِّخ نتائج سلبية، ويولِّد تطرُّفاً وغلوّاً، وعنفاً مريراً. وما مضى من خلاف بين الأمَّة بغضِّ النظر عن نوعه، يجب أن يوقف عليه للعبرة والعظة، لا أن يقف عنده لشبِّ الزيت على النار، وإيقاظ الفتن النائمة، كما ينبغي أن يكون مادة التقاء حيَّة تمهِّد لنتائج طيبة، وليست منحى عِداء في غاياته المريرة، وآثاره الأليمة.

سادساً: عدم التطرُّف في العلاج: وهذا ما نلاحظه في علاج بعض الدعاة ممن ينظر للمدعوين نظرة جادة متشدِّدة، يأخذ بحزم الأمور وعزائمها، ويتجنَّب فتاوى الرخص وفسحتها، وحين يُستفتَى يأخذ بالأشدّ والأقوى ضبطاً واحتياطاً، ويقضي بالأكمل والأقصى ورعاً والتزاماً. مع أن دائرة الآراء الاجتهادية رحبة، وفسحة الاختلافات الفقهية واسعة، والحديث صريح في هذه القضية: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله،

فينتقم الله بها)[٣٧]. فينبغي لمن يتصدى للدعوة، ومعالجة قضايا الأمَّة وحمل همِّها، أن يتبصَّر حال المدعوين، ويحسن وصف الدواء الناجع للداء العضال، وأن يحمل نفسه على أخذ الحزم بالأمور، ويأخذ في حق نفسه بالعزيمة، ويجتهد في الرخصة لحال الآخرين، خاصة إذا كان حالهم يستدعيها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب أن تُؤتى رخصه، كما يكره أن تُؤتى معصيته)[٣٨].

: وهذا مطلب هام، ينبغي العناية به، وأخذه بعين الاعتبار في التعامل والمعالجة. فالشباب يتباينون في نظرتهم لحقائق الأشياء، ويختلفون عن الكبار في تقييمهم لها، بين متشدِّد ومتساهل، ومتشائم ومتفائل، فلا بدَّ من استيعابهم واحتوائهم، والنظرة إليهم بعين العطف والحنان، ومخاطبتهم بروح الأبوَّة والشفقة، وهذا ما يفتقده كثير من الكبار في تعاملهم مع الشباب فيخسرونهم، بل يغلقون منافذ الانفتاح عليهم، ويوصدون أبواب التفاهم بينهم، مما يجعلهم ينفرون عنهم، وينقلبون ضدَّهم. عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس؛ إن منكم منفِّرين، فأيُّكم أمَّ الناس فليوجز، فإن وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة)[٣٩]. ولنتذكر الخطاب النبوي الأبوي للشباب، حينما كان يناديهم ﷺ بقوله: (إنما أنا لكم مثل الوالد)[٤٠]. صلوات ربي وسلاماته عليه.

المطلب الثاني: نماذج من الهدي النبوي القولي في مضمون خطاب الدعوة:

أولاً: عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رجل يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطوِّل بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشدّ غضباً من يومئذ، فقال: (أيها الناس؛ إنكم منفِّرون، فمن صلَّى بالناس فليخفِّف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)[٤١].

ثانياً: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (قاربوا وسدِّدوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل)[٤٢].

ثالثاً: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق)[٤٣]، وله تتمة وشاهد في كتاب الزهد لابن المبارك من حديث عبد الله بن عمرو موقوفاً: (ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى)[٤٤].

رابعاً: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الأديان أحبُّ إلى الله؟ قال: (الحنيفية السمحة)[٤٥].

خامساً: عن أبي موسى ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: (بشِّروا ولا تنفِّروا، ويسِّروا ولا تعسِّروا)[٤٦]. وفي رواية أخرى لأنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (يسِّروا ولا تعسِّروا، وسكِّنوا ولا تنفِّروا)[٤٧].

سادساً: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحتجر حصيراً بالليل فيصلي عليه، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﷺ فيصلُّون بصلاته حتى كثروا، فأقبل فقال: (يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام، وإن قَلَّ)[٤٨].

سابعاً: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحبُّ أن تُؤتى رخصه، كما يكره أن تُؤتى معصيته)[٤٩].

ثامناً: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: (اللهم مَن ولي مِن أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم؛ فاشقق عليه، ومَن ولي مِن أمر أمتي شيئاً فرفق بهم؛ فارفق به)[٥٠].

تاسعاً: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها)[٥١].

المطلب الثالث: صور من الهدي النبوي العملي، المتمثل بالرحمة في خطاب الدعوة.

أستعرض لهذا النوع من الهدي النبوي، بذكر نماذج عملية، تطال فئات مجتمعية منوَّعة، تمثَّلت الرحمة عنواناً عريضاً في التعامل معها:

أولاً: رحمته ﷺ بالعدو: تتألَّق السيرة النبوية بنماذج فذَّة لهذا النوع من الرحمة، متمثِّلة في مواقف مختلفة ومتعددة ومتنوعة لمظاهر الرحمة بمَن أساء إليه ﷺ، أو اعتدى عليه، أو أراد اغتياله وقتله، أو آذاه، أو نال منه سبَّاً وشتماً، أو عيَّره، أو أعان السفهاء على صدِّ دعوته، أو دبَّر له مكيدة في سحر، أو ما شابه ذلك من مواقف التعدي والظلم، ثم نراه ﷺ يقابل السيئة بالحسنة، والظلم والعدوان بالعفو والغفران، فيدعو لقومه بالهداية حين يأتيه ملك الجبال ليطبق عليهم الأخشبين، بعد اشتداد أذاهم عليه، ويلتمس لهم العذر، ويعفو عمن ظلمه، ويتجاوز عن خطأ مَن آذاه، ويقابل الغادر المخطط لقتله بالصفح والمسامحة، وأمثلة هذا كثيرة جداً في السيرة العطرة، ويكفينا تذكُّر موقفه ﷺ من أهل مكة حين دخلها فاتحاً، فقال لهم حين اجتمعوا في المسجد: ما ترون أني صانع بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[٥٢]. ولهذا سمَّى رسول الله ﷺهذا اليوم بيوم المرحمة.

ثانياً: رحمته ﷺ بالحيوان: عن شداد بن أوس ﷺ قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحِدَّ أحدكم شفرته، وليُرِحْ ذبيحته)[٥٣].

ثالثاً: رحمته ﷺ بالقريب: عن أبي هريرة ﷺ يقول: قال أبو القاسم ﷺ: (مَن أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمِّه)[٥٤].

رابعاً: رحمته ﷺ بالعبيد والخدم: فعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر ﷺ بالربذة، وعليه حُلَّة، وعلى غلامه حُلَّة، فسألته عن ذلك فقال: إني سببت رجلاً فعيَّرته بأمِّه، فقال لي النبي ﷺ: (يا أبا ذر؛ أعيَّرتـــه بأمِّه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان

أخوه تحت يده، فليُطْعمه مما يأكل، وليُلْبسه مما يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم)[٥٥].

خامساً: رحمته ﷺ بالمرضى والأموات: فقد كان من عادته ﷺ تفقُّد مَن يعلم مرضه، وحرصه على هدايته، ولو كان كافراً، كما في خبر عمه أبي طالب، وهو على فراش الموت، يعرض عليه التلفظ بالشهادة ليشهد له بها عند ربه[٥٦]، وفي دعوته ﷺ لغلام يهودي كان يخدمه. فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار)[٥٧].

سادساً: رحمته ﷺ بالمرأة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضِلَع، وإن أعوج ما في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)[٥٨]. وعن أنس ﷺ قال: (دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: لا، حُلُّوه، لِيُصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد)[٥٩].

سابعاً: رحمته ﷺ بالأعرابي: عن أبي هريرة ﷺ قال: دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس فصلى، فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً. فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: (لقد تحجَّرت واسعاً)، فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع إليه الناس، فقال النبي ﷺ: (أهريقوا عليه سَجْلاً من ماء، أو دلواً من ماء، ثم قال: إنما بُعثتم ميسِّرين، ولم تُبعثوا معسِّرين)[٦٠]. وفي رواية: (لا تزرموا عليه بوله).

ثامناً: رحمته ﷺ بالصغير: عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر، ثم يضمُّهما، ثم يقول: (اللهم ارحمهما، فإني أرحمهما)[٦١]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوَّز في صلاتي؛ مما أعلم من شدة وجْد أمِّه من بكائه)[٦٢].

تاسعاً: رحمته ﷺ بالكبير: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (ليس منَّا مَن لم يوقِّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا)[٦٣].

عاشراً: رحمته ﷺ بالطائر: عن أم كُرز رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أقرُّوا الطير على مكناتها). ومعنى الحديث كما قال الإمام الشافعي عندما سأله الإمام سفيان بن عيينة رحمهما الله تعالى: كان العرب إذا لم تر طائراً سانحاً، فرأى طيراً في وكره، حرَّكه مِن وكره ليطيِّره، لينظر أيسلك طريق الأشائم، أو طريق الأيامن، فيشبِّه قول النبي ﷺ: (أقرُّوا الطير على مكناتها)، أي لا تحركوها، فإن تحريكها، وما تعملون به من الطيرة؛ لا يصنع شيئاً، وإنما يصنع فيما تتوجهون له: قضاء الله عزَّ وجلَّ[٦٤].

الخاتمة

وتتضمَّن: **أهم النتائج المستفادة، وأهم التوصيات المقترحة:**

أهم النتائج المستفادة:

أولاً: الاهتمام بالآخر والاعتراف به، ليس باعتباره صاحب حق يجب اتباعه، والخضوع إليه، وطلب رضاه، وإنما باعتباره مريضاً، يحتاج علاجاً ودواءً، ليتماثل للشفاء، بعيداً عن الحق، يحتاج لتقريبه إليه، غافلاً عن الحقيقة، فيلزم توضيحها له وتبيانها إليه، وهنا تتجلى حكمة الدعاة في قبول الآخر، والحرص على اغتنامه بحنكة وذكاء، لا أن يُناصب العداء، فيُستعدَى دونما مبرر.

ثانياً: الدعوة للعصبية أمر ترفضه نصوص الشريعة الإسلامية، بل تحرِّمه، لتعارضه مع مقاصدها وروحها. والتعصب المحمود ما كان للحق الظاهر الواضح الذي لا يختلف عليه عاقلان، ويعني الالتزام بالضوابط العامة والقواعد الكلِّية والثوابت الأساسية للدين، وتبقى الفروع الفقهية والجزئيات مما هو في دائرة المندوبات والفضائل محلَّ اختلاف للأمَّة، وهامش حركة للفرد، وساحة حرية للمسلم، يتخيُّر منها ما يحقِّق له بحبوحة التوجُّه، وسعة الاختيار، في انضباط تشريعي، وقيد أخلاقي، توجِّهه فيه نصوص الشريعة بإطارها العام.

ثالثاً: تطرُّف الفكر المأساة الحاضرة للأمَّة، وفكر التطرُّف الأفيون الهدَّام للشعوب، والتعامل معه يستلزم في بعض أحواله استئصالاً جذرياً لبعض أهم أجزاء الجسد ومكوِّناته، أملاً في شفاء وحفظ الباقي، أو على الأقل حداً من انتشار المرض، ورغبة في السيطرة عليه.

رابعاً: مبررات نشأة الإرهاب كثيرة، وأسباب انتشاره متعددة، وهو إخطبوط قاتل، وسرطان فتَّاك لأي نجاح للدعوة، وسبيل علاجـــه هو التصدي له برويَّة وحنكـة وحكمـــة. فيُقضَى على منابعه، وتُجفَّف موارده، وتُوصد منافذه، وتُيسَّر السبل الممكنة للبدائل العملية، عملاً بالقاعدة التربوية التهذيبية: (التخلية قبل التحلية).

خامساً: نظرية إقصاء الآخر باتت مرفوضة على ساحة الصراع الأيديولوجي، وهي شريعة الغاب في تغليب القوي لسلطانه وجبروته على الخصم لضعفه وهوانه، بل الحكيم مَن كسب جولات الحوار، بعرض الفكرة بأسلوب ناجح.

سادساً: الإسلام دين عالمي، وبالتالي لا يستطيع أحد التحكُّمَ في توجيه مفرداته، تحيُّزاً لصالح دعوة متقوقعة، أو فكر سطحي، أو توجُّه مخالف. والعبث في قلب المفاهيم، وتوجيه المصطلحات، لتفسير مرفوض، أو تحليل مشبوه، سبيل إلى تفريخ بؤر الإرهاب والتطرُّف؛ مثل تفسير النصوص وتأويلها المشوَّه، وتحريف مفهوم الخطاب الديني عن مساره الصحيح، وبما يخدم فكرة شاذة، أو يدلل على توجُّه منحرف .

سابعاً: تميّز الإسلام بأنه دين الرحمة والوسطية والاعتدال، كما تميَّزت الأمة المحمدية بهذه الوسطية والاعتدال في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ البقرة: ١٤٣

وبالتالي فينبغي التحذير من المغالاة في الدين، لمنافاتها روح الدين وجوهره وحقيقته.

أهم التوصيات المقترحة:

أولاً: الاهتمام بتوجيه وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمكتوبة إلى حُسن صياغة الخطاب الديني بمنهجية واضحة المعالم، قائمة على الوسطية والاعتدال، ونبذ كل مظاهر التطرُّف والغلوِّ والجفاء، مع مراعاة التنوع في طرح هذا الخطاب، وتناول الأولويات من القضايا الساخنة التي تمس حاجة المدعو، وتلامس شأنه الخاص. حيث يواجه تحدياً وصراعاً متلازمَين في واقعه اليومي على مستوى الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية، فلا بدَّ من مواجهة هذه التحديات بحلول عملية، وبدائل منطقية، كي يتقبَّلها، ويستجيب لندائها.

ثانياً: الاهتمام بالخطاب الديني نوعاً ومضموناً وعَرضاً، فمما لا جدل فيه أهميته في تأثيره على المدعوين، فلا بدَّ فيه من الصراحة والشفافية والموضوعية والصدق، ولا بدَّ من احترام أهلية واستعداد المدعو والمخاطَب، وتقدير حاجته من هذا الخطاب؛ كمَّاً وكيفاً، ومن الحكمة معاشرة الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم .

ثالثاً: التصدي لظاهرة التطرُّف بحكمة وحزم متوازيَين، فبقدر ما نغلق منافذ التطرُّف، ونوصد بؤر الإرهاب، فإننا بالمقابل نفتح بوابات العلم والمعرفة، ونشجع الحوار، ونقبل الطرف الآخر، ونحترم الرأي الآخر، ونتعامل معه بوعي وجِدِّية وصدق وعطف.

رابعاً: التركيز على المدارس والمعاهد والجامعات في إظهار الإسلام على صورته الحقيقية الصادقة، من خلال الإشراف على مناهج التربية والتعليم، وحُسْن الطرح والعرض، بعيداً عن أيٍّ من معاني البتر، أو التشويه، أو التعقيد، وهنا يتحمَّل القائمون على هذا الأمر مسؤولية تاريخية خطيرة في تثقيف الأجيال، وتبصيرهم بحقائق الدين، دون أي مسخ، أو تشويه، أو تحريف، إذ الإفراط والتفريط في هذا الأمر له أخطاره ومحاذيره.

خامساً: التركيز على دور الدعاة من خطباء وأئمة وأساتذة ووعَّاظ، في تنمية الوعي الديني لدى الناشئة، وتوضيح المفهوم الصحيح للخطاب الديني لدى العامة، ونشر ثقافة التسامح والوسطية والاعتدال، وتشجيع المبادرات في الاعتراف بالآخر، وفتح قنوات الحوار معه، مع الاعتصام بالثوابت، والتقيد بالضوابط الشرعية في هذا المنحى، لأنه خطير المنزلق إذا أُسيء استخدامه.

سادساً: التركيز على دور المسجد الريادي، وإعادة تفعيله عملياً كما كان؛ مركزاً للإشعاع الروحي، ومنبراً للوعي الفكري، ومحراباً للعبادة، ومقراً للنشاط السياسي والاجتماعي، فرسالة المسجد السامية، ودوره القيادي في التوجيه والتعليم من أهم مقومات وأسس المجتمع الإسلامي، التي قامت عليها الحضارة الإسلامية في عصر النبوة، ثم تتالت وتنامت، حيث امتدت في أصقاع الأرض؛ فتحاً، ونصراً، وعزاً، وانتشاراً.

ثبت المراجع

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، بترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩١م.

٢. أخبار عمر، وأخبار عبد الله بن عمر، علي الطنطاوي، وناجي الطنطاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ثامنة: ١٤٠٣هـ_١٩٨٣م.

٣. الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية، أحمد أبو الروس، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية: ٢٠٠١م.

٤. الإرهاب، تعريفه، نشأته، أنواعه، تاريخه، علاجه، د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمَّان: ١٤٢٧هـ_٢٠٠٦م.

٥. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، نشر دار ابن عفان، السعودية، ط/أولى: ١٤١٢هـ_١٩٩٢م.

٦. البحر الزخَّار المعروف بمسند البزَّار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزَّار، مؤسسة علوم القرآن، دمشق: ٢٠٠٥م.

٧. البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، اعتنى به د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت: ١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م.

٨. التطرُّف الديني الرأي الآخر، د. صلاح الصاوي، الآفاق الدولية للإعلام، القاهرة، ط/أولى: ١٤١٣هـ_١٩٩٣م.

٩. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/أولى: ١٤٠٥هـ_١٩٨٥م.

١٠.جامع البيان في تأويل أي القران، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ثالثة: ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م.
١١.الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ_١٩٨٥م.
١٢.خصائص التشريع الإسلامي، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/ثانية: ١٤٠٦هـ_١٩٨٦م.
١٣.الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/سادسة: ١٤٠٩هـ_١٩٨٨م.
١٤.ديوان الأفوه الأوْدي، الشاعر الجاهلي الأفوه الأوْدي، صَلاءة بن عمرو بن مالك اليمني، شرح وتحقيق د. محمد ألتونجي، دار صادر، بيروت، ط/أولى: ١٩٩٨م.
١٥.الزهد، عبد الله بن المبارك، دار المنار، القاهرة: ٢٠٠٥م.
١٦.سراج الملوك، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: ١٩٩٤م.
١٧.سنن الترمذي، المكتبة التجارية، مصطفى الباز، دار الفكر، بيروت: ١٤١٤هـ_١٩٩٤م.
١٨.السنن الكبرى، الإمام أحمد بن حسين البيهقي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند: ١٣٤٧هـ.
١٩.السنن المأثورة للشافعي، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط/أولى: ١٤٠٦هـ.
٢٠.الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط/أولى: ١٤١٧هـ_١٩٩٦م.
٢١.صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى: ١٤١٢هـ_١٩٩٢م.
٢٢.صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٧٦هـ_١٩٥٦م.
٢٣.ظاهرة الغلوّ في التكفير، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ثالثة: ١٤١١هـ_١٩٩٠م.
٢٤.القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ثانية: ١٤٠٧هـ_١٩٨٧م.
٢٥.لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/سادسة: ٢٠٠٨م.
٢٦.مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.
٢٧.مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/أولى: ١٤١٦هـ_١٩٩٦م.

٢٨.المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى: ١٤١١هـ_١٩٩٠م.
٢٩.معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ابن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/أولى: ١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م.
٣٠.المعجم الوجيز، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة.
٣١.مفاتيح الغيب، المشتهر بالتفسير الكبير، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود، دار الفكر، بيروت، ط/ثانية: ١٣٢٤هـ.
٣٢.الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وإخوانه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/أولى: ١٤٢١هـ_٢٠٠١م.
٣٣.الموطأ، الإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون، تونس، ط/ثانية.
٣٤.النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٨٣هـ_١٩٦٣م.
٣٥.الوسطيَّة في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي (المصراتي)، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمَّان، ط/أولى: ١٤١٩هـ_١٩٩٩م.
٣٦.الوسطيَّة في ضوء القرآن، د. ناصر العمر، دار الوطن، الرياض، ط/أولى: ١٤١٤هـ_١٩٩٣م.

---

(١) سراج الملوك، الطرطوشي: صفحة: ٥٦، وأخبار عمر، الطنطاوي: صفحة: ٢٦٦. والخِبُّ: الخِداع والمكر والخُبْث والغشّ. والخَبُّ: الرجل الخدَّاع. لسان العرب: ٣٤١/١، ومختار الصحاح، الرازي: صفحة: ١٦٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ٧٨/١٢.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي: ٥٣/١٢.

(٤) وتمامه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جمعٍ: (هلمَّ القُط لي، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلوّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدين). إسناده صحيح على شرط مسلم. الموسوعة الحديثية لمسند أحمد: ٢١٥/١، رقم الحديث: ١٨٥١.

(٥) الوسطية في ضوء القرآن، العمر: صفحة: ٤١، والوسطية في القرآن الكريم، الصلابي: صفحة: ٤٣.

(٦) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ يى ذٰ رٰ ىٰ ﴾، رقم الحديث: ٤١٢٧.

([٧]) وتمام الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له، قال: يوم الجمعة، فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى). صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمَّة ليوم الجمعة، رقم الحديث: ١٤١٣.

([٨]) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٥٥/٢.

([٩]) لسان العرب، ابن منظور: ١٠٦/٩، والمعجم الوجيز: صفحة: ٣٨٩.

([١٠]) التطرُّف الديني، الصاوي: صفحة: ٨، والإرهاب والتطرُّف والعنف في الدول العربية، أبو الروس: صفحة: ١٥.

([١١]) جامع البيان، الطبري: ١٧٠/١٦.

([١٢]) التعريفات، الجرجاني: صفحة: ٤٩.

([١٣]) لسان العرب، ابن منظور: ٢٦٩/١٣، ومختار الصحاح، الرازي: صفحة: ٦١١.

([١٤]) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطِّعون، رقم الحديث: ٤٨٢٣. والمتنطِّعون: المتعمِّقون، المغالون في الكلام، المتكلِّمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النَّطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استُعمل في كل تعمُّق، قولاً وعملاً. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٦١/٥، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي: صفحة: ٩٩١.

([١٥]) لسان العرب، ابن منظور: ٣١٨/١٤، ومختار الصحاح، الرازي صفحة: ٦٧٢.

([١٦]) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، رقم الحديث: ٨٨.

([١٧]) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: ٤٦٩٧.

([١٨]) لسان العرب، ابن منظور: ٣٠٣/١٠، ومختار الصحاح، الرازي صفحة: ٤٥٨، والمعجم الوجيز: صفحة: ٤٣٧.

([١٩]) القاموس المحيط، الفيروز أبادي: صفحة: ٢٠٠، ومختار الصحاح، الرازي: صفحة: ٤٥٦.

([٢٠]) حسن بشواهده. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٥٢١/٢٩، رقم الحديث: ١٧٩٩٨. ويُقصد بعبارة: (الباغون البرآء العنت)، أي: المتعدُّون الظالمون، يطلبون للأبرياء الهلاك بالمشقة والتعب والمكروه، ويتهمونهم بالإثم والفساد والفواحش. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢٥٥/٣.

([٢١]) لسان العرب، ابن منظور: ٨٦/١٣، ومختار الصحاح، الرازي صفحة: ٥٧٤.

(٢٢) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، رقم الحديث: ١٩٣٢.

(٢٣) الجافي: الغليظ الخِلْقة والطبع السيئ، المُهين: من المهانة، وهي الحقارة. الشمائل المحمدية، الترمذي: صفحة: ٨٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢٥٧/١، ولسان العرب، ابن منظور: ١٦٧/٣.

(٢٤) لسان العرب، ابن منظور: ٣٨/٨، والمعجم الوجيز: صفحة: ٣٣٨.

(٢٥) الخصائص العامة للإسلام، القرضاوي: صفحة: ٢٤٥، ومدخل لمعرفة الإسلام، القرضاوي: صفحة: ١٩٠، وخصائص الشريعة الإسلامية، الأشقر: صفحة: ١٠١.

(٢٦) البداية والنهاية، ابن كثير: ٣٩/٧. فصل في غزوة القادسية.

(٢٧) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح. سنن الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: ٢٦٠٩.

(٢٨) الاعتصام، الشاطبي: ١٧٣/١.

(٢٩) تنسب هذه المقولة لعدد من الأئمة كأبي حنيفة والشافعي، وتتناولها مختلف كتب فروع الفقه كقاعدة أصيلة في تأصيل الاختلاف.

(٣٠) هذه مقولة دعَوية تنسب لصاحب المنار رشيد رضا، ويسميها بالقاعدة الذهبية، كما تنسب للإمام حسن البنا.

(٣١) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم الحديث: ٩٨.

(٣٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان مَن قال لأخيه المسلم يا كافر، رقم الحديث: ٩٢.

(٣٣) ظاهرة الغلوِّ في التكفير، القرضاوي: صفحة: ٩٤.

(٣٤) الموطأ، الإمام مالك: كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، رقم الحديث: ١٣٩٥.

(٣٥) إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٣٤٦/٢٠، رقم الحديث: ٢٦١٦.

(٣٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: ٦٨٠/٣.

(٣٧) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: ٣٢٩٦.

(٣٨) حديث صحيح. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١٠٧/١٠، رقم الحديث: ٥٨٦٦.

(٣٩) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب مَن شكا إمامه إذا طوَّل، رقم الحديث: ٦٦٣، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، رقم الحديث: ١٨٢، واللفظ له.

(٤٠) وتمام الحديث: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إنما أنا لكم مثل الوالد، إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ونهى عن الروث والرمَّة، ولا يستطيب الرجل بيمينه). إسناده قوي. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٣٢٦/١٢، رقم الحديث: ٧٣٦٨.

(٤١) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، رقم الحديث: ٨٨.

(٤٢) صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله، رقم الحديث: ٢٨١٦.

(٤٣) حسن بشواهده. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٣٤٦/٢٠، رقم الحديث: ١٣٠٥٢.

(٤٤) إسناده صحيح. مسند البزار، رقم الحديث: ٤٦٩، والزهد،ابن المبارك، رقم الحديث: ١٣٣٤.

(٤٥) صحيح لغيره. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١٧/٤، رقم الحديث: ٢١٠٧.

(٤٦) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم الحديث: ١٧٣٢.

(٤٧) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسِّروا، رقم الحديث: ٦١٢٥، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم الحديث: ١٧٣٤.

(٤٨) صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، رقم الحديث: ٥٨٦٢.

(٤٩) حديث صحيح. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١٠٧/١٠، رقم الحديث: ٥٨٦٦.

(٥٠) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم الحديث: ٣٤٠٧.

(٥١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: ٣٢٩٦.

(٥٢) سنن البيهقي: كتاب السير، باب مبتدأ الخلق، رقم الحديث: ١٨٠٥٥.

(٥٣) صحيح مسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، رقم الحديث: ٥٧.

(٥٤) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم الحديث: ٢٦١٦.

(٥٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم الحديث: ٢٩، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم الحديث: ٦٠.

(٥٦)عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: (قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة) قال: لولا أن تعيرني قريش.. الحديث. صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، رقم الحديث: ٤٢.

(٥٧) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه، رقم الحديث: ١٢٦٨.

(٥٨) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم الحديث: ٤٧٨٧، وصحيح مسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث: ٦٠.

([٥٩]) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم الحديث: ١٠٨٢، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب أمر مَن نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد، رقم الحديث: ١٣٠٦.

([٦٠]) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض، رقم الحديث: ١٤٧، والموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١٩٨/١٢، رقم الحديث: ٧٢٥٥. وإسناده صحيح على شرطهما. والسَّجْل: الدلو الملأى ماء، والجمع سجال. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢٨٩/٢.

([٦١]) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، رقم الحديث: ٥٥٤٤.

([٦٢]) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب مَن أخفَّ الصلاة عند بكاء الصبي، رقم الحديث: ٦٦٨، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، رقم الحديث: ٧٢٣.

([٦٣]) إسناده صحيح. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٦٤٤/١١، رقم الحديث: ٧٠٧٣، وسنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصغار، رقم الحديث: ١٩٢١.

([٦٤]) صحيح لغيره. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١١٣/٤٥، رقم الحديث: ٢٧١٣٩، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٤٩٥/١٣، والمستدرك، الحاكم: ٢٣٧/٤، والسنن المأثورة للشافعي، المزني: ٦٤/٢.